الأدب الجزائريّ في أسبانيا بين التّرجمة الإبداعية والصناعة الأيديولوجيّة

Algerian literature in Spain; between creative translation and ideological industry

أ. منصوريّ عبد الرّحمان*

أ.د توهامي وسام **

تاريخ الاستلام: 11 / 11/ 2019 تاريخ القبـــول: 14 / 11/ 2019

ملخّص: تعتبر ترجمة الأدب الجزائريّ إلى اللغة الأسبانية حديثة العهد بالمقارنة مع ترجمة الآداب العربيّة الأخرى. ويمكن التّأكد من ذلك عندما يُنظر عن كثب لواقع الرّوايّة الجزائريّة في السّاحة الثقافيّة الأسبانية مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصيّة الكتابة الرّوائيّة الجزائريّة من حيث لغة الإنتاج (الفرنسيّة والعربيّة) وكذلك الحقب الزّمنيّة التي تمثلها والمواضيع التي تتناولها بحكم الموروث التّاريخي والثقافي والديني وعلاقة كلّ ذلك مع بلدان الضّفة الأخرى للمتوسط وتلقيها له. إن المتتبع للأدب الجزائريّ وخاصة الرّوايّة الجزائريّة في إسبانيا يجد أن تواجدها ضيق جدا وينحصر الاهتمام فيه على الأدب المنتج باللغة الفرنسيّة ويقتصر على حقبة زمنيّة واحدة.

وعليه يهدف هذا المقال إلى الوضع بين أيدي المهتمين بهذا المجال معطيات بيليوغرافيّة كفيلة بأن تكون نقطة ارتكاز وانطلاق لدراسات مستقبليّة وبحوث واجبة التّحقيق فيما يخص الجزائر وإنتاجها الأدبي في السّاحة الثقافيّة الأسبانية ، خاصة وأن النّتيجة التي توصل إليها هذا المقال تظهر أن الأدب الجزائريّ في إسبانيا حبيس الصناعة الإيديولوجيّة والمطبعيّة على حساب جانبه الإبداعي.

كلمات مفتاحيّة: التّرجمة، الأدب، الجزائريّ، إسبانيا، الرّوايّة، التّلقي، دور النّشر، الأيديولوجيّة

* جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، abderahmane.mansouri@univ-mascara.dz (المؤلف المرسل)

** جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، ouissemtouhami@yahoo.fr

Abstract: The translation of Algerian literature in Spain is very recent in comparison to other Arabic literatures. This assertion can be confirmed taking into account the specificity of the Algerian novel writing in terms of languages of production (French and Arabic) as well as its periods and subjects. Also the reception of Algerian cultural and religious heritage in other countries of the Mediterranean scene is very limited. The Observers of Algerian literature in Spain note that its presence and representation is very narrow and limited to French production.

Thus, this article aims to focus on bibliographic data in order to start future studies and researches on the place of Algerian literature in Spanish cultural scene. The conclusion of this article shows that Algerian literature in Spain is constrained to ideological and publishing industry at the expense of its creative side.

Keywords: translation, literature, Algerian, Spain, novel, receptions, publishing industry, ideology.

المقدّمة: جاء اهتمام **أسبانيا** بالأدب الجزائريّ متأخرا، وأقبلوا على ترجمته إقبالا بدأ واهيا ومذبذبا إلا أنه أخذ في التّوسع في السّنوات الأخيرة خاصة بعد سنة 1999 حيث أنه تمت ترجمة أكبر عدد من الأعمال الجزائريّة ما بين سنتي 1999 و2003 أي ما لم يفعله المترجمون الأسبان في الأربعين سنة التي عرفت اهتمامهم بالأدب المغاربي. ويتساءل المتتبع لهذا المجال عن الأسباب الحقيقيّة التي أدت إلى هذا التّأخر والحقيقة وراء حصر الإنتاج الأدبي الجزائريّ في الفترة الزّمنيّة تلك دون الرّجوع إلى الحقب الزّمنيّة التي تعاقبت على الكتابة الأدبيّة الجزائريّة إنتاجا وتمثيلا. ولعل الفرضيات التي جالتّ بخاطرنا حول هذه التّساؤلات هي التي جعلتنا نهتم بتسليط الضّوء على الجانب الأيدلوجي المنتهج من لدن الأسبان في انتقائهم للروايات الجزائريّة لترجمتها وحصرها في فترة زمنيّة قصيرة اصطلح على تسميتها بالعشريّة السّوداء

إن الغايّة من وراء هذا المقال، هي التّعليق الموجز على النّتائج المتحصل عليها في هذا الميدان داخل اهتمامات الجامعة وخارجها، واضعا بين أيدي المهتمين بهذا المجال معطيات بيليوغرافيّة كفيلة بأن تكون نقطة ارتكاز وانطلاق لدراسات مستقبليّة وبحوث واجبة التّحقيق فيما يخص الجزائر وإنتاجها الأدبي في السّاحة الثقافيّة **الأسبانيّة**.

1. واقع الأدب الجزائريّ في أسبانيا: قبل الخوض في الحديث عن هذا الواقع، لا بأس من التّذكير بالعلاقة بين الثقافة العربيّة و **الأسبانية** مما لاشك فيه أن العلاقة بين العرب وبين **أسبانيا** أمر يحتل

مكانا هاما في الثقافة العربيّة، نظرا للفتوحات الإسلاميّة في أرض الأندلس واستمرار الوجود العربي والإسلامي على تراب **أسبانيا** زهاء ثمانيّة قرون، وما نتج عن هذا التّواجد من تأثير وتأثر في جميع أوجه الحياة السّياسيّة والثقافيّة والاجتماعيّة.

وليس الغرض من وراء هذا التّقديم السّرد والتّأريخ، وإنما إبانة الخلل الذّي أعاق الدراسات العربيّة **الأسبانية** عن الامتداد إلى الأدب المغاربي ومنه إلى الأدب الجزائريّ.

من المعلوم أن العلاقات الثقافيّة بين إسبانيا والعرب انتقلت عبر وسائل متعددة كما يذكر الأستاذ **بيدرو مارتينيز مونتابيث** " Pedro Martinez Montavez ":

« Las relaciones culturales de carácter literario entre Europa y los países árabes e islámicos son antiguas y arraigadas en la historia, se establecieron a través de los contactos políticos, y bélicos, la invasión árabe de España, Sicilia, las cruzadas en el Oriente Árabe, y posteriormente a través de los viajeros, orientalistas, las mutuas traducciones y adquisición de manuscritos... »[1] (Martínez, 1987)

" تعد العلاقات الثقافيّة ذات الطّابع الأدبي بين أوربا والبلدان العربيّة والإسلاميّة قديمة ومتجذرة في التّاريّخ، أوجدت إثر التّعامل السّياسي والتّصادم الحربي، ومن خلال فتح العرب **لأسبانيا** وصقليّة والحروب الصليبيّة في المشرق العربي وفيما بعد من خلال الرّحالة المستشرقين والتّرجمات المتبادلة وحيازة المخطوطات..."(التّرجمة لنا)

وهكذا بدأ التّأثير الثقافي الأدبي للعرب والمسلمين في أوربا، فكانت بدايّة ترجمة الأعمال الأدبيّة العربيّة تتصدرها ترجمة كتاب كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفّع، وحكايات سندباد البحريّ، وكتاب ألف ليلة وليلة، الذّي يعدّ العمل الأدبي الأكثر تداولا وترجمة إلى اللغات الغربيّة، حيث أطلّ بلياليه السّاحرة على المخيلة الأدبيّة الغربيّة فأخذ منها كلّ مأخذ واقترن بالأدب العربي أيما اقتران.

وكان للثقافة والأدب الأوربيين نصيب في التّأثير في العرب، ولعلّ أكبر دليل على هذا التّلاقح الثقافي والأدبي هو الامتزاج الحضاريّ بين العرب والأسبان الذّي يعدّ النّواة الرّئيسيّة والمشعة لتاريّخ امتد لقرون وخالطّه الاختلاف والتّوافق، الحرب والسّلم، السّيف والعلم، وكان يعطي كلما وضعت الحرب أوزارها مثالا رائعا للتعايش بين الثقافات والأديان. فقد كثرت المدارس بالأندلس وكذا الجامعات والمعاهد والمكتبات، فبقرطبة وإشبيليّة وغرناطة وحدها أحصيت أكثر من سبعين مؤسسة وبجامعة قرطبة تم إحصاء أكثر من ست آلاف نسخة من أهم المراجع والكتب [2] وكانت هذه الجامعات تستقطب المترجمين من جميع أنحاء أوربا خاصة الأسبان منهم الذّين كان إقبالهم من أجل التّرجمة لا غير.

وبعد سقوط غرناطة عام 1492م، وخروج العرب من الأندلس تراجعت حركة النّقل من العربيّة إلى لغات أوربا ومن بينها **الأسبانية** حيث تكاد كتب التّاريّخ تخلو من إحالات لموضوع التّرجمة في هذه الفترة التي طغت عليها السّياسة والحروب وزاحمت الثقافة والإنتاج الأدبي والتّرجمي حتى كادت تقضي عليه ولكن الأسبان ظلوا مقتنعين بأنه لا أحد أقدر عليهم في فهم ونقل الإرث العربي والإسلامي لما يميزهم من باقي الأوروبيين. وبرغم ذلك كان للدراسات العربيّة **الأسبانيّة** " El arabismo español " أن تكتب صفحة جديدة في العلاقات العربيّة **الأسبانية**. إنه لا يمكن التّطرق إلى العلاقة بين الجزائر و **أسبانيا** دون الحديث عن المترجم والأديب " خوان قويتيسولو " Juan Goytisolo الذّي، بعد هروبه من **أسبانيا** " فرانكو " " Franco " ولجوئه إلى فرنسا، التّقى المهاجريّن الجزائريّين هناك وعاين ما يتعرض له هؤلاء من عنصريّة وقمع، فتعاطف مع القضيّة الجزائريّة وسعى هو ومن كان معه من الفرنسيين المعارضين لاحتلال الجزائر في تمويل الثورة الجزائريّة.

وفي سنة 1963 تلقى قويتيسولو " Goytisolo " دعوة شخصيّة من جبهة التّحرير الوطني لزيارة الجزائر وعلّق عليها قائلا:

"Debido a mis trabajos militantes y a mi participación con las fuerzas que apoyaban el Frente Nacional para la liberación, he recibido inmediatamente después de la independencia de Argelia una invitación del frente y fue la primera visita que realicé a Argelia"[3] (Villegas, 1986)

" .. وبفضل عمليّ النّضاليّ ومشاركتيّ مع القوى التي كانت تدعم الجبهة الوطنيّة للتحرير تلقيت مباشرة بعد استقلال الجزائر دعوة من الجبهة وكانت هذه أول مرة أزور فيها الجزائر" (التّرجمة لنا).

2. بدايات التّعامل بين الجزائر و أسبانيا: لا ريّب أن ينشأ عن العلاقة التّاريخيّة بين الجزائر و **أسبانيا** تبادل اقتصاديّ وتأثير وتأثر ثقافيّ واسع المجال، لكن وعلى العكس من ذلك، غلب على التّعاملات بين الجزائر و **أسبانيا** خاصة في القرن الثامن عشر الطّابع السّياسيّ والتّجاريّ، وحتى الحربيّ مع احتلال **أسبانيا** لوهران ومحاولتها احتلال ميناء الجزائر العاصمة، وبحثنا في المراسلات بين البلدين التي امتدت بين ألف وسبعمائة وثمانين وألف وسبعمائة وثمانيّة وتسعين1780 و1798 م، التي جمعها د. يحي بوعزيز. فلم نجد أثرا للجانب الثقافيّ والأدبيّ سوى ما اشتمل عليه البند العاشر منها الخاص بمواضيع المراسلات بين البلدين ونصّه الكامل:

" L'Algérie demande à l'Espagne de permettre à Antonio Barisano, un des esclaves espagnols libérés, d'être désigné comme traducteur de la correspondance

échangée entre les deux pays. L'Espagne accepte après maintes hésitations"[4] (بوعزيز، 1990)

" تطلب الجزائر من **أسبانيا** السّماح لأنتونيو باريّسانو، أحد العبيد الأسبان المعتقين، بأن يعين مترجما للمراسلات المتبادلة بين البلدين، قبلت **أسبانيا** بعد تردد كبير" (التّرجمة لنا)

لكن المتتبع للأدب الجزائريّ وخاصة الرّوايّة الجزائريّة في **أسبانيا** يجد أن فضاء تواجدها ترجمة ودراسة في بلاد سيرفانتيس ضيق جدا خاصة إذا ما قارناه بالأدب المنتج في المغرب. ليس من السّهل الحديث عن تلقيّ النّص الرّوائيّ الجزائريّ في السّاحة الثقافيّة **الأسبانية** نظرا لتأخر ظهوره بالقياس مع الأدب العربيّ عامة والمغربيّ خاصة ولذلك ارتكزنا في تحرير هذا المقال حول الأدب الجزائريّ المترجم إلى اللغة **الأسبانية** على المعطيات التي جمعتها " كارمن غوميس كاماريّرو" **Carmen Gómez Camarero** 1994 و" مرسيديس دال آمو " 1998 **Mercedes Del Amo** وعلى المعلومات المتوفرة في المنشورات الخاصة بالكتب **الأسبانية** المعروضة للبيع في موقع على الأنترنت **ISBN** وبنك المعلومات **TESEO** الخاص بوزارة التّربيّة والثقافة **الأسبانية**.

يعتبر الأدب الجزائريّ حديث العهد في **أسبانيا** ولا يزال الاهتمام به غير كاف من طرف الجامعات ودور النّشر **الأسبانية** ، بالمقارنة مع إنتاج من دول عربيّة أخرى مثل لبنان وسوريا ومصر. ومع ذلك، عرفت السّنوات الأخيرة بدءاً من 2000 زيادة مذهلة في عدد التّرجمات للروايات الجزائريّة إلى اللغة **الأسبانية** ففي منتصف عام 2005 نجد خمسة وخمسين عملا مترجما إلى **الأسبانية** ، 41 منها ترجمات لأعمال مكتوبة باللغة الفرنسيّة. الأمر الذّي يظهر ويبرهن على قلة الاهتمام بالأدب الجزائريّ المكتوب باللغة العربيّة.

3. الحدود اللغويّة للأدب الجزائريّ وأثره في التّرجمة إلى الأسبانية: ينظر الباحثون الأسبان وخاصة المهتمون منهم بالدراسات العربيّة إلى الأدب العربيّ المكتوب بلغة أجنبيّة بصفته اللغويّة الصرفة ولا يحبذون بأي حال من الأحوال إدراجه في مواضيع الدراسة في " الأرابيسمو " El Arabismo أي الدراسات العربيّة **الأسبانية**.

ولكن مع تطور هذه الدراسات واتساع مجالها، أخذ الأدب العربيّ (خاصة المغاربيّ) يحظى باهتمام الدارسين الذّي يليق بمقام هذا الإنتاج الأدبيّ، فمن بين المدراس والجامعات التي اهتمت بترجمة الأدب المغاربيّ ومن ثمّ الجزائريّ، مدرسة المترجمين بطليطلة بجامعة كاستييا لامنشا، La Escuela de Traductores de Toledo; (ETT) en La Universidad de Castilla la Mancha التي تنشر دراسة سنويّة تحمل عنوان " دفاتر" (cuadernos) والتي خصص العدد الأول منها لحوصلة الدراسات والتّرجمات

للأدب المغاربيّ إلى **الأسبانية** " Panorámica de los estudios y traducciones de la literatura del Magreb en español " وتخص هذه الدراسة المغرب والجزائر وتونس.

يقول " **ميغال بيريّث كانيادا** " Luis Miguel Pérez Cañada وهو رئيس تحرير هذه المجلة في معرض حديثه عن الأدب الجزائـــريّ:

"He decidido incluir en este balance las obras escritas en Francés por autores argelinos, por cuanto son expresión inequívoca de una compleja realidad social y cultural. Los ciento Treinta y dos años de colonización francesa marcaron y aún marcan la literatura de este país. La cuestión de la arabidad de autores como Mohamed Dib o Mouloud Feraoun, que escribieron en francés lo más grande de su obra, sigue dividiendo a los especialistas y no es este el espacio apropiado para entrar en el debate "[5](Cañada, 1990)

" لقد قررت إدماج الأعمال المكتوبة بالفرنسيّة من طرف كتاب جزائريّين في هذه الدراسة، باعتبارها شهادة لا نقاش فيها، على الواقع الاجتماعيّ والثقافيّ المعقد. طبعت المائة والاثنان والثلاثون سنة من الاحتلال الفرنسيّ الأدب في هذا البلد ولا تزال تفعل. إن قضيّة مدى عروبة كاتب مثل محمد ديب أو مولود فرعون اللذين كتبا جلّ أعمالهما باللغة الفرنسيّة أمر اختلف في حسمه أهل الاختصاص، ولا يسعنا المجال للدخول في جدل بخصوص هذا الموضوع ". (التّرجمة لنا)

ونعتبر أن هذا العمل هو الأول في **أسبـــانيا** الذّي ضم الأدب الجزائريّ بشقيه المكتوب بلغة عربيّة والمكتوب بلغة فرنسيّة.

4. ترجمة الأدب الجزائريّ المكتوب بالعربيّة إلى الأسبانية: يقتصر الحديث في هذا الباب على العمل الذّي قام به " مارسيلينو فياقاس " Marcelino Villegas حين ترجم روايّة ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة " El viento del Sur " ونشره لمقالين حول الرّوايّة تحت عنوان " واقع الرّوايّة الجزائريّة " Situación de la novela Argelina و" شخصيات إسبانيّة في الرّوايّة الجزائريّة " Personajes españoles en la narrativa Argelina " نشرتها له جريدة " شرق الأندلس " Sharq al Andalus إضافة إلى ترجمة "مارتينيز مونتابيث " و" سيرافين فانخول "، Serafín Fanjul وMartínez Montavez لبعض القصائد الشّعريّة للأستاذ عبد الله حمادي.

كان مارسيلينو فياقاس(1943- 1991) من الأوائل في ترجمة الأدب المكتوب بالعربيّة حين نقل بعضا من أعمال نجيب محفوظ (مصر) وزكريّاء تامر (سوريا)، اشتغل مدرسا بجامعة وهران لمدة عشر سنوات، كتب بعض المقالات حول السّينما الجزائريّة وإلى حد السّاعة يعد الوحيد الذّي نقل إلى

الأسبانية روايّة جزائريّة مكتوبة بالعربيّة عام 1981 نشرتها دار " المعهد الأسبانيّ- عربيّ للثقافة: (El instituto Hispano-Árabe de cultura). وكان له مشروع لترجمة ثلاثيّة عبد الحميد بن هدوقة استكمالا لريح الجنوب، لكن هذه الأعمال لم يكتب لها أن ترى النّور **بالأسبانية**.

أما في ترجمة الشّعر فكان " مارتينيز مونتابيث " " Martínez Montavez " أول من قام بمحاولة لترجمة الشّعر العربيّ المعاصر في مذكرة قدمها أيّام كان طالبا في القاهرة، في هذا الشّأن يذكر " ميغال بيريّز كانيادا " (Miguel Pérez Cañada):

"Sobre Poesía argelina escrita en árabe la Primicia la ofrece Martínez Montavez en una antología de cincuenta y nueve poetas (1958), primer trabajo de traducción de poesía árabe contemporánea al español, realizado durante sus años de estudio en El Cairo. En él se recoge un solo poema de firma argelina sin título, del emir 'Abd-al-Qadir al- yazairi (oran 1807-1863) "[6](Cañada, 1990)

" وبخصوص الشّعر الجزائريّ المكتوب باللغة العربيّة، تعود بادرة ترجمته إلى مارتينيز مونتابيث الذّي جمع أشعار تسعة وخمسين شاعرا عربيّا في عمل قدمه حين كان طالبا بالقاهرة (1958). ومن بين التّرجمات التي ضمها العمل واحدة فقط تخص قصيدة جزائريّة بدون عنوان للأمير عبد القادر الجزائريّ (وهران 1863- 1807) ".(التّرجمة لنا)

وتبعته في ذلك الأستاذة " ليونور مارتينيز مارتين " (Leonor Martínez Martín) حين نشرت دراسة مشابهة تكفلت بطبعها دار النّشر " Colección Austral de Espasa Calpe "، حملت قصيدة واحدة مكتوبة بالعربيّة للشاعر صالح خرفي (1932-...) أما الأخرى فكانت بلغة فرنسيّة.

وفي هذا العمل الذّي يتجاوز المائة وخمسين (150) صفحة خصصت مؤلفته منه 50% للشعر في المشرق العربيّ (مصر ولبنان) وخمسا وثلاثين (35) صفحة لكل المغرب العربيّ، منها 06 ست صفحات فقط للجزائر.[7]

كما قام " سيرافين فانخول " Serafín Fanjul عام 1975 بترجمة خمس قصائد لعبد الله حمادي لمجلة " المنارة " Al menara في مقال تحت عنوان " شاعر جزائريّ في **أسبانيا** " Un Poeta Argelino En España، كما قام أيضا في سنة 1976 بدافع تواجد العديد من الشّعراء العرب في مدريّد بترجمة قصيدة جديدة لعبد الله حمادي تحت عنوان " دون كيشوت سائر في الطّريق " Don Quijote se pone en Camino في مقال عنوانه " شعراء عرب شباب في مدريّد " Poetas árabes en Madrid.

وصدر في عام 1984 عن دار النّشر " Litoral " عمل بيليوغرافي اشترك فيه بيدرو مارتينيز مونتابيث Pedro Martínez Montavez وكارمن رويث برافو Carmen Ruiz Bravo وروزا ماريا مارتينيز ليلو Rosa Martínez María Lilo تضمن أعمال أكثر من خمسة وثلاثين شاعرا عربيّا ما بين سنوات الأربعينيات والثمانينيات دون ذكر أيّ شاعر أو أديب جزائريّ [8].

وحسب " ميغال بيريّز كانيادا " (Miguel Pérez Cañada) وجب انتظار سنة 1994 تاريّخ صدور عمل بيليوغرافيّ آخر نشرته مجلة "Arrecife de Murcia" تحت عنوان " عهد الشّعر العربيّ " Tiempo de poesía Árabe لبيدرو مارتينيز مونتابيث Pedro Martinez Montavez جمع فيه أكثر من (44) أربعة وأربعين شاعرا عربيّا من بينهم عبد الله حمادي الذّي ترجم له قصيدة واحدة من تسعة أبيات [9].

وتوقف الأمر عند ذلك الحد سواء بالنّسبة للروايّة المكتوبة بالعربيّة أم الشّعر، ويقول " كانيادا " Cañada:

« Por último, ni un solo relato ni una sola Pieza teatral traducida del árabe. María Jesús Viguera y Marcelino Villegas no recogerán a ningún narrador argelino o magrebí en Narraciones árabes del siglo veinte, Ediciones Magisterio Español, 1969 »[10](Cañada, 1990)

" وفي الأخير، ولا حتى قصة قصيرة ولا مسرحيّة مترجمة من العربيّة، لم تذكر ماريّا خيسوس فيقيرا ومارسيلينو فيقاس أيّ كاتب جزائريّ ولا مغربيّ يكتب بالعربيّة في كتابهما "حكايات عربيّة للقرن العشريّن" الصادر عن دار النّشر: ماخيستيريّو إسبانيول "1969 ".(التّرجمة لنا)

5. إشكاليّة ازدواج اللغة في الأدب الجزائريّ وأثرها في التّرجمات إلى الأسبانية: بغض النّظر عن الجدل القائم في أوساط المهتمين بالأدب الجزائريّ في **أسبانيا** حول تصنيف الإنتاج المكتوب باللغة الفرنسيّة يذكر " ميغال بيريّز كانيادا " Miguel Pérez Cañada في مقاله " Panorámica de los estudios y Traducciones de la literatura argelina en español " والذّي نشرته المدرسة، أن أول روايّة جزائريّة مكتوبة بلغة فرنسيّة ترجمت إلى **الأسبانية** هي روايّة " نجمة " لكاتب ياسين في سنة صدورها لما لقيه العمل من ترحيب وإطراء من طرف النّقاد في فرنسا وتوقف الأمر عند هذا الحد إلى غايّة ظهور دار نشر إسبانيّة صغيرة وبالتّحديد في مدريّد سنة 1989 تسمى " دار الشّرق والبحر المتوسط" Ediciones del oriente y del Mediterráneo، وكما يدل على ذلك اسمها، فقد اهتمت هذه الدار المغمورة بالإنتاج الأدبيّ المغاربيّ وكان للجزائر منها نصيب حيث أصدرت ترجمات لأربع روايات للكاتبة الجزائريّة آسيا جبار هي على التّوالي: "El amor, la Fantasía" « L'amour la fantasia » عام 1990

و"Sombra sultana" عام 1995 و"Grande es la prisión" عام 1997 ثم " El Blanco de Argelia" سنة 1998، وكل هذه التّرجمات وقّعتها "أنماكولادا خيمينيز موريّل" (Inmaculada Jiménez Morrel).

وتخلل هذه التّرجمات نقل آخر لروايّة أخرى للكاتبة نفسها على يدّ" سانتياغو مارتين بارموداس " Santiago Martín Bermúdez بعنوان "Lejos de Medina" « loin de Medine» نشرته دار النّشر الأسبانية Alianza Editorial عام 1993. وقامت هذه الدار نفسها في الفترة الممتدة ما بين 2001 و2003 م بنشر 4 أربع ترجمات للكاتب الجزائريّ "محمد مولسهول" المعروف بيسمينة خضرة حملت توقيع كلّ من " سانتياغو مارتين بارموداس " Santiago Martín Bermúdez بالنّسبة لـ: "l'Ecrivain" "El escritor" (2001) و"A quoi rêvent les loups" "Lo que sueñan los lobos" (2001) و: "Les agneaux du Seigneur" "Los corderos del señor" (2002). أما الرّوايّة الرّابعة فنقلتها إلى الأسبانية " ماريّا تيريّزا غاييغو أوروتيا" "María Tereza Gallego Urrutía" بعنوان: " Las golondrinas de Kabul" "Les Hirondelles de Kabul" (2003)، كما عرفت أعمال أخرى ليسمينة خضرة اهتماما من طرف دار النّشر الغرناطيّة "Zoela" حيث أصدرت في سنة واحدة "2001" ثلاث ترجمات لروايات "Morituri" و"Doble Blanco, Double Blanc" و" El L'automne des chimères – Otoño de las quimeras" بقلم " وينشسلا وكارلوس لوزانو "(Wenceslao carlos Lozano).

هذا عن الرّوايّة الجزائريّة، أما الأجناس الأدبيّة الأخرى فتكاد تكون منعدمة. فالقصة القصيرة لا تجد لها مكانا في التّرجمة إلى الأسبانية إلا من خلال الأديبين الجزائريّين محمد ديب ومولود معمريّ كما يؤكد ذلك " لوبيز غارسيا برنابي " López García Bernabé:

"La narrativa breve argelina ofrece siete relatos del escritor argelino más universal, Mohamed Dib, ' En el café ', Traducidos por García Burillo para ediciones del Oriente y del Mediterráneo en 1995 y 'los Cuentos Beréberes del etnólogo y novelista formado en Francia Mouloud Mammeri, en versión de Marcio Merlino, Espasa-Calpe, 1991 "[11](Bernabé, 1997)

" تقتصر ترجمة القصة القصيرة الجزائريّة إلى الأسبانية على سبع قصص للكاتب الجزائريّ الأكثر عالميّة محمد ديب (في المقهى)، مترجمة من طرف غارسيا بوريّو لحساب دار النّشر ediciones del Oriente y del Mediterráneo سنة 1995، وكذا " Les contes Berbères" للروائيّ الجزائريّ "

مولود معمريّ " الذّي تلقى تكوينه بفرنسا، بقلم " مارثيو مارلينو " لدار النّشر " Espasa–Calpe " عام 1991". (التّرجمة لنا)

أما ترجمة الشّعر فممثلة في العمل الذّي قام به " ايميليو سولا " وأساتذة معهد اللغة **الأسبانية** بجامعة وهران حيث يذكر في هذا الشّأن ميغال بيريّز كانيادا Miguel Pérez Cañada ما يليّ:

«...Emilio sola, Poeta y Profesor de Historia en el departamento de español de la universidad de Oran durante una larga etapa, emprendió con un grupo de profesores de este centro y Francisco López Barrios, Periodista y novelista granadino, un proyecto de traducción de poesía argelina contemporánea en dos volúmenes... »[12](Cañada, 1990)

"... قام ايميليو سولا، شاعر وأستاذ التّاريخ بمعهد اللغة **الأسبانية** لسنوات عديدة بجامعة وهران ومجموعة من أساتذة المعهد بالتّعاون مع الصحفيّ والأديب الغرناطيّ – لوبيز باريّوس فرانسيسكو – بوضع مشروع من قسمين لترجمة الشّعر الجزائريّ المعاصر..."(التّرجمة لنا)

خصص القسم الأول منه للشعراء الذّين يكتبون باللغة الفرنسيّة " Poetas de grafía francesa" على حد تعبير " ايميليو سولا " وضم مجموعة كبيرة من الشّعراء من بينهم: محمد ديب ومصطفى لشرف وليلى بلهادف ومالك حداد، كما ضم أسماء أخرى مثل: Jean Sénac و Jean Amrouche.

6. فضاء الأدب الجزائريّ في أسبانيا: أول من تناول الأدب الجزائريّ في **أسبانيا** هي الجرائد والمجلات **الأسبانية** خاصة جريّدة El País ومجلة « El Mundo de los Libros ». اتسمت جل هذه المقالات بالطّابع السّياسيّ والاجتماعيّ على حساب الأدبيّ. وكأن كلّ ما كتبه الجزائريّون ليس سوى محاولة لنقل الصورة الدمويّة للجزائر في العشريّة السّوداء التي مرت بها البلاد.

تنافست هذه الجرائد في وضع صورة الأدباء الجزائريّين مثل: يسمينة خضرة وآسيا جبار وحتى الأقل شهرة مثل عزوز بقاق، مرفوقة بعناوين كبيرة على شاكلة:

« Yasmina khadra, en mis libros cuento la historia de Argelia de hoy »[13]

" يسمينة خضرة أحكي في كتبيّ قصة جزائر اليّوم" (التّرجمة لنا)

أو:

« Salima Ghazali, Escritora Argelina; « el régimen de Argelia ha optado por gobernar a través del terror »[14]

" سليمة غزالي: كاتبة جزائريّة: " اختار النّظام في الجزائر الحكم بواسطة التّرهيب" (التّرجمة لنا).

حتى أن بعض العناوين قد أصابت حظا من البلاغة مثل عنوان مقال لـ: Victor Andresco لجريدة: ABC CULTURAعند تقديمه لراويّة les Amants de Sherazad, Los Amantes de Sherazad: « Silencio se mata »بمعنى:" سكوت قتل" في محاولة لتحوير العبارة الفرنسيّة: Silence ça tourneإلى: Silence ça tue (التّرجمة لنا)

وعند تناول الصحافة **الأسبانية** للكاتبة الجزائريّة فلا يختلف الأمر كثيرا فنجد:

« Assia Djebar, Una voz femenina frente al poder de los hombres. »[15]

"آسيا جبار، صوت نسويّ في مواجهة سلطة الرّجال" (التّرجمة لنا).

أو:

« Salima Ghazali, demasiada barbarie, una voz comprometida »[16]

" سليمة غزالي. الكثير من البربريّة، صوت ممنوع" (التّرجمة لنا).

واللافت للانتباه هو أن الصحفيّ الأسبانيّ، حتى وإن كان كاتبا وأديبا، ينسى تماما الجانب الأدبيّ بمجرد الحديث عن الأدب الجزائريّ. نأخذ على سبيل المثال عبارة للكاتب الصحفيّ: فرنندوا مارتيناز لاينيز Fernando Martínez Laineze: في مقال له حول روايّة Morituri :

« Morituri es sobre todo un cuadro desolador de la violencia en Argelia. Un resumen vivo de la crueldad que hizo del pueblo argelino una víctima entre dos fuegos »[17]

"موريّتوريّ قبل كلّ شئ إطار يفضح العنف في الجزائر. تصوير واقعيّ للشراسة التي جعلت من الشّعب الجزائريّ ضحيّة بين ناريّين ". (التّرجمة لنا)

وانتقلت هذه الحمى الهستيريّة إلى الأساتذة الجامعيين والباحثين. فلا نجد مقالا (على الأقل في ما حصلنا عليه) يتناول الجانب الأدبيّ أو الجماليّ أو الأسلوبيّ لدى أيّ أديب جزائريّ، ما عدا دراسة واحدة لمسنا فيها محاولة القيام بعمل مقارن بين نجمة لكاتب ياسين والتّطليق لرشيد بوجدرة.

وهذا ما تؤكده لوث غوماز غارسيا luz Gómez garcía وهي أستاذة بجامعة أليكونت alicante في دراستها المعنونة:"اللغة والسّلطة "lengua y poder سلسة من التّساؤلات حول مستقبل الجزائر السّياسيّ والاجتماعيّ والأدبيّ وعن جدوى الكتابة باللغة الفرنسيّة وحتى العربيّة في جزائر تعرف نسبة عاليّة من الأميّة:

« (…) ilustra esta situación los siguientes datos: en la década de los sesenta, con una alfabetización inferior al 25% sólo el 10% de los lectores potenciales era

capaz de hacerlo en árabe. Con el agravante de que los escasos arabizados más que dedicarse a la creación intelectual, se hallaban en la administración y la vida pública. Por ejemplo la ex ministra Zuhur Winisi (n.1936) »[18](Gómez 2001)

"(...) وتوضح هذه الوضعيّة جليّا المعطيات التّاليّة: في السّتينات، بنسبة تعلم تقل عن 25 ٪، فقط نسبة 10٪ من القراء المحتملين كانت قادرة على ممارسة القراءة باللغة العربيّة.وما زاد الطّين بلة هو عزوف القلة القليلة من الكتاب المعربين عن الانتاج الأدبيّ وإقبالهم على الإدارة والمناصب الحكوميّة مثل الوزيرة السّابقة زهور ونيسي (م 1936). (التّرجمة لنا)

لقد اخترنا هذا المقطع لتبيان مدى ضيق نظرة بعض الباحثين الأسبان للأدب الجزائريّ، وابتعادهم الكليّ عن قيمة هذا الإبداع رغم وجود بعض المحاولات من لدن مترجمين أسبان تعاملوا مع نصوص جزائريّة لتسليط الضّوء على جوانب أسلوبيّة وجماليّة في هذه النّصوص، على غرار Santiago Martín Bermúdez و Carlos Wenceslao Lozano.

7. الصناعة الأيديولوجيّة في ترجمة الرّوايّة الجزائريّة إلى اللغة الأسبانية: من المعروف أن الكتابة في الجزائر مزدوجة اللغة، فإن كانت اللغة العربيّة هي اللغة الأم لغالبيّة الجزائريّين ومن الطّبيعيّ أن تكون لغة الأدب والكتابة طالما أن وظيفة الإبداع هي تقديم صورة عن الواقع وتطلعات الفرد والمجتمع والتّعبير عن الأحاسيس والخواطر التي تختلج في الضّمير الفرديّ والجماعيّ، فان الكتابة باللغة الفرنسيّة تخضع لمعطيات وظروف أخرى.

يمكن تلخيص هذه الظّاهرة في تأثير التّواجد الفرنسيّ في الجزائر وما تبع ذلك من إعادة رسم للخارطة اللغويّة الجزائريّة التي أصبحت تعد لغتين قد لا يفهم متحدث أولاهما مضمون خطاب معيّن حرّر في اللغة الثانيّة. وهذا ما شجع على وجود إنتاج أدبيّ ثنائيّ اللغة في الجزائر.

تعتبر الكتابة باللغة الفرنسيّة في الجزائر واقعا لا مناص من ذكره والحديث عنه في كلّ دراسة تتناول الأدب الجزائريّ في الخارج للطبيعة المعقدة لهذه الكتابة. فعند محاولة تصنيف الأقلام التي كتبت باللغة الفرنسيّة في الجزائر نجد مجموعات تختلف وتتباين من نواح عدة، أهمها الزّمنيّة والأيديولوجيّة.

أما تاريّخيا فيمكن تجميع الكتاب الجزائريّين في حقب زمنيّة مختلفة ومتعاقبة وتصنيفهم إلى أجيال. أول جيل من الكتاب باللغة الفرنسيّة؛ ما قبل 1945م على رأسهم: "سي محمد بن رحال" و"عبد القادر حاج حمو" و"شكريّ خوجة" وغيرهم.

الجيل الثانيّ ما بعد 1945م من أمثال: "مولود فرعون" و"مولود معمريّ" ومحمد ديب". في الحقبة نفسها بدأت تظهر أسماء جديدة مثل "آسيا جبار" وغيرها من الكتاب الشّباب في تلك الفترة، اللذين سيعرفون أكثر في فترة ما بعد الاستقلال.

الجيل الثالث، ما بعد 1962م الفترة التي كانت تنتظر فيها العودة أو الإقبال على الكتابة باللغة العربيّة أكثر من اللغة الفرنسيّة، لكن الأمر لم يتغير وواصل الكتاب الجزائريّون استعمال الفرنسيّة. تضاف إليهم مجموعة من الأدباء لم تعايش فترة الاستعمار لكنها اختارت الكتابة بهذه اللغة. يمكن لهذه المجموعة أن تشكل فئة لوحدها لطبيعة المواضيع المطروحة في أعمالها، التي أصبحت تصنف في خانة- ما أُصطلح على تسميته: الكتابة الاستعجاليّة l'écriture de l'urgence. ومن بين الأسماء المعروفة في هذا المجال؛ الرّوائيّ " يسمينة خضرة" (محمد مولسهول).

أما الجانب الأيديولوجيّ في الكتابة الجزائريّة باللغة الفرنسيّة يختلف باختلاف الحقب الزّمنيّة. فمن المواضيع الثوريّة والوطنيّة مرورا بالتّوجهات السّياسيّة التي عرفتها الجزائر في السّبعينيات ثم الثمانينات وصولا إلى مرحلة ما سماه الأدباء بكسر التّابوهات والكتابة للآخر في محاولة لإعطاء الصورة الحقيقيّة للجزائر في إطار *"الأدب الفاضح والجارح"* La littérature dénonciatrice et corrosive، الذّي لا يتعدى في الحقيقة أن يكون محاولة اغتنام لوضع معين، مسايرةً لكتابة لقيت ترحيبا واهتماما كبيرين لدى دور النّشر الفرنسيّة. وقد يكون هذا من بين الأسباب التي جعلت المترجمين الأسبان يهتمون أكثر بالأدب الجزائريّ المكتوب باللغة الفرنسيّة على حساب الأدب المنتج باللغة العربيّة.

والعلاقة بين الأديب الجزائريّ واللغة الفرنسيّة علاقة تقارب ونفور بين شاطئين لغويين وثقافيين خلفا إرثا لغويا مزدوجا، تخيرت كلّ فئة من الكتاب الجزائريّين شطرا منه؛ الأمر الذّي يجعل القارئ يتوق إلى مطالعة هذه النّصوص لاسيما عند الاطلاع على آراء الأدباء الذّين يكتبون بالفرنسيّة حول هذه اللغة فمنهم من وصفها *بغنيمة حرب* un butin de guerre(كاتب يسين)، ومنهم من قال عنها بأنها فرضت عليه بقرار تاريخيّ عنيف ولكنه جعلها مِلكا له (نور الدين عبة):

« J'ai eu la langue française par décret violent de l'histoire ; et je l'ai faite mienne »

وغير هذه الأمثلة كثير.

ولتوضيح ضيق النّظرة **الأسبانية** للأدب الجزائريّ نأخذ عينة من أهم مركز إسبانيّ اهتم بهذا الباب ألا وهو مدرسة المترجمين بطليطلة، والتي وعلى لسان القائمين عليها أكدوا لنا أن الأدب الجزائريّ لا يحظ بحيز واسع من الاهتمام وأن التّرجمات التي عرفها لا تتعدى أن تكون مسايرة تجاريّة لدور النّشر لنيل سهم من اهتمام الغرب بصفة عامة بالإنتاج الأدبيّ الجزائريّ وأن ما أذكى هذا الاهتمام طبيعة المواضيع المتناولة من قبل الرّوائيين الجزائريّين والتي لا تخرج عن محوريّن اثنين لا ثالث لهما: العشريّة السّوداء وصورة المرأة في الجزائر. قد يفسر ذلك محدوديّة النّصوص الأدبيّة الجزائريّة المنقولة إلى اللغة **الأسبانية** وهذا ما تظهره جليا الدراسات التي اهتمت بترجمة الأدب العربيّ المعاصر في **أسبانيا** والتي لم تأت

بالجديد رغم التّوجه المتجدد والطّرح المغاير الذّي تبنته وتنتميّ إليه. ويكفي أن يطلع القارئ على مجموعة من المقالات تعد (بحسب إقرار المهتمين بمجال التّرجمة الأدبيّة في **أسبانيا**) مصدرا لا مناص من الرّجوع إليه لكل من أراد أن يقترب من هذا المجال وتناوله بالدراسة والتّحليل. ومن بين هذه المصادر الدراسة المستفيضة التي قام بها VÍCTOR MORALES LEZCANO [19] والتي أبانت عن التّوجه الجديد للدراسات العربيّة **الأسبانية** والاهتمام المتزايد بالأدب المغاربيّ خاصة بعد السّبعينات وأسهم اتساع الأفق الإسبانيّ للدراسات العربيّة في زيادة عدد المنشورات التي تتناول المغرب الكبير وخاصة المغرب. دون أن يكون للجزائر نصيبا يذكر في هذه الدراسة.

خاتمة: من كلّ ما تقدم، يتضح جليا أن الأدب الجزائريّ بلغتيه حديث العهد في السّاحة الثقافيّة **الأسبانية** نظرا للأسباب التي أعاقت الدراسات العربيّة **الأسبانية** من الامتداد إلى الأدب المغاربيّ عامة. لكن بالمقارنة مع الأدب المغربيّ، فإن حصة الأدب الجزائريّ من التّرجمات إلى **الأسبانية** زهيدة، لا تعكس بأيّ حال من الأحوال الرّصيد الأدبيّ الجزائريّ ولا تعطي صورة حقيقة للقارئ الأسبانيّ عن الإبداع الأدبيّ الجزائريّ سواء المكتوب باللغة العربيّة أم باللغة الفرنسيّة.

قد نواصل في تعداد الدراسات التي لم تهتم بالأدب الجزائريّ من قبل الأسبان، لكن المسؤوليّة في ذلك لا تقع عليهم فقط بل تتعدى إلى أن تكون مسؤوليّة الجامعة الجزائريّة التي لم تول هذا الجانب قدره من الاهتمام واكتفت مراكز البحوث وأقسام اللغة **الأسبانية** وأقسام التّرجمة باستهلاك ما تجود عليها به دور النّشر **الأسبانية** في غياب تام لإستراتيجيّة من شأنها فرض الإنتاج الأدبيّ الجزائريّ في السّاحة **الأسبانية** من خلال ترجمته محليا وجعله أكثر شموليّة من جانب التّمثيل الزّمنيّ والجماليّ لأدب ثريّ لغة وإنتاجا.

قائمة المراجع:

- د . يحي بوعزيز، المراسلات الجزائريّة **الأسبانية** في أرشيف التّاريّخ الوطني لمدريّد 1780- 1798. ديوان المطبوعات الجامعيّة 1990 ص 248
- بنك المعلومات TESEO الخاص بوزارة التّربيّة والثقافة **الأسبانية**.http://www.mcu.es/teseo

- GÓMEZ CAMARERO, Carmen (1994): Contribución del arabismo español a la literatura árabe contemporánea: Catálogo bibliográfico (1930-1992), Granada, Universidad de Granada.
- MARTÍNEZ MONTÁVEZ, Pedro (1977): " Ensayos marginales de arabismo", Madrid, Instituto de Estudios Orientales y Africanos,Almenara, 1976 vol. 9
- LÓPEZ GARCÍA, Bernabé (1974): Contribución a la historia del arabismo español (1840-1917) Resumen de Tesis Doctoral, Granada, Universidad de Granada.
- LÓPEZ GARCÍA, Bernabé (1990): "Arabismo y orientalismo en España radiografía y diagnóstico de un gremio escaso y apartadizo", Awraq, Madrid, anejo al vol. XI.
- LÓPEZ GARCÍA, Bernabé (1997): "30 años de arabismo español: el fin de la almogavaría científica (1967-1997)", Awraq, Madrid, vol. XVIII.
- MARÍN, Mañuela (1992): " Arabistas en España: un asunto de familia", Al-Qantara, Madrid, vol. XIII.
- Martínez Montavez Pedro (1987), La novela árabe en Argelia, Saber Leer.
- PÉREZ CAÑADA, Luís Miguel (1999): "Literatura argelina traducida al español: panorámica", en El Magreb y Europa: literatura y traducción.
- Situación de la novela argelina, Sharq-Al-Andalus, N°3 1986.
- Nación Árabe N° 46.
- El País, Sábado 10 de noviembre de 2001.
- La Esfera ,7/3/1998.
- El Mundo de los libros / Sábado 22 mayo 1999.
- Diccionario Avanzado. Árabe español. Corriente, Federico; Ferrando, Ignacio Herder Editorial. 2ª ed. 2005 .
- EVEREST, Diccionario práctico de Locuciones y frases hechas (1997). LEÓN, editorial Everest.

الهوامش:

[1] **P. Martínez Montavez, la novela árabe en Argelia, P19.**

[2] López García Bernabé, contribución a la historia del arabismo español, P 35.

[3] J. Goytisolo cité par Marcelino Villegas Personajes españoles en la narrativa argelina Sharq el Andalus, P 13

[4] د . يحي بوعزيز، المراسلات الجزائريّة الأسبانية في أرشيف التّاريّخ الوطني لمدريّد 1780- 1798. ص 248.

[5] P. Cañada, Panorámica de los estudios y traducciones de la literatura Magrebí en Español, PP 25-26.

[6] P. Cañada, Panorámica de los estudios y traducciones de la literatura Magrebí en Español, p20

[7] بنك المعلومات **TESEO** الخاص بوزارة الثقافة والتّعليم الأسبانية.

[8] المرجع السابق

[9] المرجع نفسه

[10] P. Cañada, Panorámica de los estudios y traducciones de la literatura Magrebí en Español, P 21

[11] López García Bernabé, Contribución a la historia del arabismo Español, P **53**.

[12] P. Cañada Panorámica de los estudios y traducciones de la literatura Magrebí en Español, P21.

[13] El País, Sábado 10 de noviembre de 2001

[14] La Esfera ,7/3/1998.

[15] El Mundo de los libros / Sábado 22 de mayo de 1999.

[16] Idem

[17] Idem

[18] Lengua y Poder, Nación árabe p 90

[19] VÍCTOR MORALES LEZCANO El desarrollo de los estudios sobre el Magreb en la bibliografía española, Awraq, XVII, 1996. P 293-308.